قصر من الرمال

((1))

شعر....

قصر من الرمال

****

ولاء تيسير بو سعد

قصر من الرمال / شعر/

سنة الطباعة: 2010.

عدد النسخ: 1000 نسخة.

الترميز الدولي: ISBN: 978-9933-439-42-2

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: 0963 11 5627060

تلفاكس: 0963 11 5632860

ص. ب: 259 جرمانا

في الصباح ...

كانوا هناك

يطرقون أبواب عيني ليسمعوا صرختي الأولى

يشتمّون رائحة أنفاسي الطرية

ويخطّون بقبلاتهم سنين الطفولة

وظلّوا..

خلف أبواب قلبي

يرسمون فوق جبيني بسمة الحياة

ويحيون الأمل في نفسي

وظلّوا خلف الحلم

تكبر الأحلام على صداهم

تُكتب آمالي بعرق سهدهم

وتخطّ فرحتي ببهجة حبّهم

ومازالوا...

خلف الحلم...

والداي........

قطرة من الفرح

ليلة أمس

حطتْ على شجرة آلامي

قطرةُ فرحٍ جاءت من سفر بعيد

كتبتْ على أوراقي المبعثرة

كلماتٍ وآهات

ورسمتْ على مقلتي وجهاً..

فرحاً سعيدْ ...

جاءتْ قطرة الفرح...

فاتخذتْ زاوية لها بين أشيائي المخبأة

فلملمتُ بعضَ الحروف المتكسّرة

وأعدت تركيب قصيدة أشواقي المتناثرة

ليلة أمس

لململتُ بقايا الأوراق التي كانت بحوزتي

لململت بعضاً من الدخان الذي

لطالما سكن في أجواء غرفتي

لململت بعض الذكريات

التي تبقت لي من ذكرى غربتي

بعضٌ منها مرتسمٌ في صفحات قصتي

وآخر محفور في خبايا ذاكرتي

لململتُ أغراض حزنٍ...

كانت كلّ ما في حوزتي

لململتها.. رتبتها وزينتها...

على أمل أن تأتي

ثم أتيتَ مع أول شعاع من ضوء الشمس

وسكنتَ بين فرحة الغد...

ومواجع الأمس

أتيتَ مع أول لحن عُزِفَ في سهرة الأنسِ

وجلست في الروح والفكر...

وفي النفسِ

أتيت مرتسما على وجه قطرة الفرح

أتيت فكنت البلسم ...لذلك الجرحِ

أتيت... فأعدتُ ترتيب حروفي الممزقة

وحاولتُ التقاط بعض الكلمات المنسية

من شجرة مستقبلي المتيبسة

حاولتُ أن أكتب لك بعض الكلمات

أعدت التصفح في قاموس لغتي

فتشتُ بين أوراقي القديمة

فتعثرتُ بدموعي وآهاتي وأناتي

تعثرتُ برسومي وأشعاري وكلماتي

تعثرتُ بمواجع كتاباتي ورواياتي

فأشعلتُ شمعة من الآمال

وأوقدتُ في مستودع اللغة موقد الوصال

وخططتُ على حائط دفتري الزجاجي

قصصا عنك...وعن حسنك..

كتبتُ فيك أجمل قصص الحقيقة والخيال

ليلة أمس

أتيتني من حيث لم أدري

وسكنتَ متربعا في قدري

أتيت فأضفتَ البسمة...

إلى صفحات عمري

أتيت فامتلأ بطلتك نظري

أتيتني في الحلم والصحو

أتيتني من حيث لم أدري

وأوثقتَ أسري .....

حديقة أسراري

لا أريد أن أقول أحبك

فكلما قلتُ أحبك

أشعرُ أني أحبك أكثر

وأتعلق بك أكثر

وأشعر بأن النوم ..

يهرب من جنبات غرفتي

كلما قلتُ أحبك

حقا أنني أحبك أكثر

لا أريدُ أن أريك قصائدي وحكاياتي

فكلما رأيتَ قصيدة من قصائدي

أشعر بأنني أتعلق بك أكثر

وأهوى نظراتك اللامبالية أكثر

كلما قرأتَ قصةً من قصصي ...

أشعر حقاً ...

أنني أتعلق بك أكثر

لا أريد أن أريكَ حديقة أسراري

فأنا أخاف على الموج الصامت فيها أن يذبل

وعلى الورد الملون بلون الدم ... أن يتكسر

أخاف على الحب المخبأ تحت الصخور

وبين الأعشاب المريضة .. أن يتبعثر

أخاف أن أريك حديقة أسراري

أخاف على سعادتي الغامرة ألا تتكرر

لا أريد أن أكتبَ لك كثيراً من الكلمات

فاسمك يغنيني عن الهجائية بكل اللغات

لا أريد أن أقصَّ عليك كثيراً من الحكايات

فمكتبة يديك تحوي كل قواميس العشق

وأجد فيها كل القصص والروايات

لا أريد أن أطلعك على تفاصيل قصتي

لا أريد أن أطلعك على موعد رحلتي

فأنا حقا أخاف أن أريك دواوين غرامي

أخاف ألا تشعر بحالي

أخاف أن أقول أحبك

فأنا كلما قلت أحبك

.. أشعر حقاً .. أني أحبك أكثر

***

عندما ينكسر الجدار

أكتبُ لك بلسان امرأة انعزالية

ولا أظنُ أن امرأة انعزالية قبلي قد كتبت لك

أهتف أمامك بلسان امرأة لا مبالية

ولا أظن أن امرأة لا مبالية قبلي قد هتفت أمامك

أكتب بلساني وبلسان كل من لم تسبقني

أكتب باسم التمييز العنصري في عصرك وعصري

أكتب لأدمرَ حاجز الصمت بينك وبيني

وخلف الجدار تراءى قدري

وتحت الحائط السميك على جسدي

تراءت آلامي وأحزاني

ونادى الجمر الصارخ في نفسي

أخاف أن أقول ما لدي من أشياء

أخاف أن تنزل عليَّ لعنة السماء

أخاف أن أبادر بتصرفات امرأة حمقاء

أخاف أن أتراءى بنظرك

مجرد جارية وسط النساء

أُقلّبُ نظراتي في سماء الغرفة المقفلة

أقلِّب أفكاري بين ضلوعي المقفرة

أخاف أن أرى نفسي أخاف أن أرى المشنقة

أخاف إن قلتُ أحبكَ أن أُساق إلى المقبرة

أخاف أن يُسْمعَ صوتي فأعدمُ بلا مِقصلة

أأكتب ما لدي من أشياء

أأكتب ما لدى كل النساء

أأكتب عن مملكة الرجال

أم أتحدث عن امرأة خرقاء

لا أظن حبر القلم سيكفيني

ولا أظن الكلمات ستنجدني

فعندما ينكسر الجدار الذي صنعه ملايين البشر

عندما يتمزق البلور الذي أحكموا إغلاقه

لا يبقى شيء تحت القشور

ولا تظل الكلمات مسجونة تحت الستار

عندما يتكسر البلور

لا شيء يقي المرأة من الانكسار

أأكتب المزيد من الكلمات

أأترجم لك آهات المرأة في كل المجتمعات

أم أضع القناع على وجهي ثانية

وأرجع بلا شكوى ولا آهات

فعندما ينكسر الجدار يا عزيزي

لا سبيل للتراجع

ولا سبيل للندم والرجوع عن القرار

لا سبيل عندها إلا الاندثار

***

وفاة كلماتي

أتسمح لي أن أكتب لك بعض الكلمات

أن أملأ صفحات ذاكرتك ببعض آهات الذكريات

أن أرسم على حائط الماضي المقصول

قصصاً قديمة وحكايات

فقد قالوا لي أنه قد حرم علي نداؤك

وحذروني أن يمر في خاطري خيالك

أتسمح أن أرسم على وجهك المضيء بعض الصور

أن أبيِّن لك حقيقة بعض الفكر

أتسمح أن أطلعك على ما أجبرني على السفر

أجبرني على هجر حب ولِد تحت المطر

فقد قالوا لي أن الرسم ممنوع

وحذروني أن أرى وجهك

ونبهوني.. ألا أقترب من قصر قلبك

أتسمح لي أن أعترف بأخطائي

أن أبوح لك عن جنون أفكاري

أتسمح أن أقدم لك أعذاري

أو أكفر عن بعض أوزاري

فقد قالوا لي أن أخطائي لا تغتفر

و وجودك في حياتي..لا يتكرر

ومنعوني من مناجاة صمتك

وأقفلوا أمامي كل أبوابك

أتسمح أن أناديك بلغة مختلفة

بدموع وآهات مختلفة

فقد سرقوا من قاموس لغتي كل الكلمات

وبتروا من دفتر ذكرياتك...

قصة حب يعادل الحياة

لقد أحرقوا أكواخ الأمل

وسلبوا من حديقة أشواقي كل الآمال والابتسامات

... جردوني من لغتي...

وأنسوك كل تلك الحكايات

وكيف بعد ذلك أتكلم بلغة الملايين

كيف أقرع على مسمع الجميع

أجراس الشوق والحنين

وأرسم رسوما لتراها كل عين

كيف أمحي كلمات الألم

وأعيد بناء قصر أمل هُدِمَ من سنين

أتسمح أن أخط في صمت مخيلتك

بعض كلماتي

أن أسـمـعـك صـدى أوجـاعـي وأنـاتـي

فقد كان من الصعب عليّ أن أبعدك عن حياتي

ولكن حياتي انتهت....

ومنذ عهد ....

كتبت شهادة وفاتي .

لا يبقى شيء سواك

عندما تنام الطيور في أعشاشها الزجاجية

وتستكين أصوات المارة على جوانب الطرقات

عندما تغفو الشمس

مسدلة آخر ستار برتقالي لها

وتلمع النجوم في بحر الظلمات

لا يبقى شيء بالعالم سواك

عندما أجد نفسي صامتة في جلسة مناقشة عنيفة

وتهجرني الحروف والأفكار والكلمات

عندما أجد نفسي وحيدة

في صحراءٍ ... من أمواج الصقيع

وأتجرد من الأصدقاء

الذين ألفت العيش في ظلهم

عندما تفيض أنهار الألم ...

وتتفجر الآهات

وعندما يهجرني كل من أحببتهم

لا يبقى شيء بالعالم سواك

عندما أفقد جميع أصحابي

في حرب العصر الباردة

وأفقد جميع الأوراق التي ظننتها رابحة

عندما توصد كل الأبواب أمامي

وأفقد آخر ورقة أمل

من أوراق شجرة الزيزفون

لا يبقى شيء بالعالم سواك

فأنت قصيدتي التي نسجتها على سور الشعر...

بكلماتي السحرية

وآلهتي التي صنعتُها.....بأناملي الذهبية

أنت أزهاري التي أضفت لها ...

رائحة عطري الندية

وعندما تلفت أناملي

وعندما تلفت قدراتي

لم يبق شيء بالعالم سواك

فجر قريب

لأني أخاف الكلام....

أتنازل عن حقوقي

وأبيع كبريائي في مزاد الكلام

لأني أخاف المغامرة والمخاطرة

أتنازل عن أتعابي

وأرضى بالخسارة دون مناقشة

دائماً أبحث عن السلام

في أرض لم تخلق لتكون سالمة

وعالمٍ كونتُهُ من ضباب

وأبنيةٍ زرعتها في خيالي

.... لم تكن يوما آمنه

لأني أخاف التقدم

أقف في منتصف الطريق

وأنظر للنهاية على أنها بعيدة المنال

أقف ساكنة بلا حراك

وأتخيل أنني وصلت....

وكم يسهل عليّ الخيال!!

لأني كغيري من النساء...

غالبا ما أنسى تصفيف كلماتي

وترتيب أوراقي

أنسى تنشق عبير الصباح

و قطف الزهور

أنسى جمالها وعطرها الفواح

لأني لطالما تكلمتُ ثم أُعدمَ صوتي

وقتلتْ كلماتي

وقفتُ في مهب الرياح وحدي

وتكلمت دون أن أجد صدى لصوتي

وقفت ....

ولم تدخل إلى نفسي سكينة

ولم أذق طعم الارتياح

وقفت...

على أول درجة من سلم الحياة

أصرخ فلا أسمع لصوتي مجيب

وأرسم أحلام الغدِ

متفائلة بفجر قريب

فالفجر لا بد سيأتي بعد الليل الطويل

والفرح لا بد ...

سيزورني بعد سنين من الرحيل

آثار تلك الحكايات

هكذا قرأت في الحكايات

قصصاً عن الحب..وأحاديثاً وروايات

هكذا قرأت في دواوين الشعر

كلمات غزل وشوق

ودموع وآهات

هكذا وصفوك لي

ورسموك في مخيلتي

وأنا... لطالما حلمت بك

وكتبت أوصافك في مذكرتي

هكذا.. لطالما رسمتك بسمة بين آلاف الدمعات

هكذا كنت دوماً..

مكتوب اسمك على جبيني

مرسومة صورتك في عيني

هكذا كرست لك دائما أوراق حنيني

وأبدعت من تراب الأيام قصرا من الأشواق..

وخبأت لك ..أجمل أيام سنيني

هكذا دائما..انتظرت أن تأتي

أن تحاكي قلبي .. وتحاكيني

وها أنت تشرق مع أول ضوءٍ أنار جبيني

جئت تمحي من خيالي آثار الماضي وتنسيني

ها أنت جئت ترسم حبا جديد التكوينِ

ها أنت هنا...

وكلمة حب من عينيك تكفيني

ماذا أكتب والكلمات في وصفك ستخذلني

والدموع من فرحتها ستغلبني

ماذا أكتب ..

سحرك وطلّتك .. وروعتك..

كلها تأسرني

إن كان في عينيك كلام ..

فكلام الخلق لن يعنيني

وإن كان في يديك أشواق..

فأشواق الزهور للعطر لن تساوي حنيني

إن كان في هذا الحب الكبير شك وسؤال..!

فبحور الدنيا انسكبت من آهات قلبي

وسقتها حسرة دمعي وأنيني

إن كان هذا الحب مدونا في سطور التاريخ

فقصص الغرام تلك لن تغريني

حبك مأواي في ليلة البرد

ووشاح الحب في ليلة السهدِ

حبك قصري ومملكتي

حبك.. وحده في ليلة الأرق يسليني

ماذا أكتب بعد من الكلمات

ماذا سأنثر على السطور من آثار تلك الحكايات

ماذا أكتب.. وحكاية حبي تكفيني

وحديقة شوقي تأويك وتأويني

ماذا سأكتب عن تلك القصص

وتلك الروايات لا تعنيني

ماذا سأكتب..

حبك عن كل الهجائية يغنيني

***

عــود ي

عودي كما كنت ...

طفلة بريئة بلا قيود ولا أغلال

عودي كما كنت بريئة براءة الأطفال

عودي كما كنت..

صامدة كالجبال

عودي...بلا حزن .. ..

بلا خوف ولا إذلال

عودي كما كنت ..

صغيرة تستحق الإجلال

فقد سرقتك مني موجة سنين عاتية

وضيعتني منك حفنة أيام ماطرة

عودي كما كنت

فقد سلبتك مني...

أمواج حزن جارفة

وأبعدتني عنك ...

غيوم شكوك حائرة

عودي إلي اليوم طفلة بريئة كما كنت

عودي دون تكلف .. دون ادعاءات

عودي صافية بلا زيف .....

رقيقة بلا وجع ....

فقد أضناني برد الوحدة

وأرّقني هاجس العودة

عودي فقد أتعبتني سنين غيابك

وأرهقتني كلمات صمتك

عودي إلي دون مكابرة

فاسمي مرسوم بين أوتار صوتك

عودي صامتة هادئة

حائرة ساكنة

ثائرة مسالمة

عودي كما كنت

صافية كماء النهر

ثائرة كموج البحر

فأنا ما زلت مرتسما في عيونك

متربعا بين نهدات الشوق

نائما في جفونك

لا تكابري

لا تطيلي الابتعاد

فما كان قبل هذا الحين...

من أطباعك العناد

لا تكابري

بحبك الكبير لا تغامري

فقط عودي كما كنت ...

صافية صفاء السماء

مضيئة جذابة....

كروعة النجوم في المساء

متألقة كتألق القمر في الأجواء

لا تسافري

فما عادت تليق عليك الأسفار

لا تسافري

عالمك البديع لا تغادري

فحديقة المستقبل المجهول

مرسومة بالأوهام والأسرار

لا تسافري

فقط عودي بريئة براءة الصغار

رقيقة عذبة كعذوبة الأنهار

جميلة..كحلها الليل وحمرتها الأزهار

عودي كما كنت

وحطمي من حولك كل الأسوار

***

هذا المساء

هذا المساء

عندما أغلقت باب غرفتي

وتمشى الصمت بين جدرانها

مرّ طيفك وزارني

وأيقظ في النفس أحزانها

هذا المساء

كان قد اشتاق إليك الكرسي

الذي ملّ من سكوني

والجدران؟!

اشتاقت لرؤيتك عيونها

هذا المساء

أسدلتُ ستار دمعي

واقتلعت من النفس ضعفها

وحاربت كل الأعاصير حولي

والنفس!!

استعادت شجونها

هذا المساء

خرجتْ الكلمات عن صمتها

واقتحمتْ عاصمة الشعر

وأظهرتْ لكل الناس جنونها

هذا المساء

جلستُ في غرفتي وحدي

وتكلمت مع الكراسي والملابس والألعاب

فخرجَتْ جميعها عن أطباعها

وتدحرج الدمع بين جنباتها

وساد الصمت في عيني

فهذه الحروف بغير مكانها

وهذه الكلمات بغير زمانها

وهذا الدمع لم يكن بعد اليوم من جفوني

هذا المساء

أحببتُ المساء لأنك أخرجتني من سكوني

واقتحمتَ مدينتي التي حصنتُ أسوارها

أحببتُ المساء لأنك

اقتلعتَ الحزن المتأسس مع جذوري

وقتلتَ الآلام المترعرعة في صدري

وخلصتني من أوجاعها

هذا المساء

عشقتُ المساء لأجلك

وأحببتُ الشعر والألحان والألوان

هذا المساء

عذرتكَ على البعد ..

دون أن أحاسبك أو أسألك

هذا المساء

أدركتُ أنني منذ عهد بعيد كنت أنتظرك

جئتني تلبس رداء الفرسان

وبعيدا... بعيدا طار بنا الحصان

صرت أنا فعلاً .....أسعد ... أسعد إنسان

***

قصر من رمال

أي قلاع تظن أنك ستهدمها

وأي قصور تحسب أنك ستبنيها من رمال

أي دموع تظن أنك جئت تجففها

وابتسامات جئت ترصفها

أي مستقبل تظن أنك سترسمه على سلم الآمال

أتنادي صغيرة لتقتبس طفولتها

وتستحوذ بطغيانك على أوراق طهارتها

أظننت أنك ستحررها من عقدها الأولى

أم عرفت أنك تثقل حول معصميها الأغلال

أجئتَ لتسلب منها ضحكتها ؟

لتجرد روحها جمالها ورقتها ؟

وأي قصر ذاك الذي ستبنيه من ظلال

أي أحزان جئت ترمي بها

أطرافَ عشق مات على عتبة السؤال

لماذا جئت..؟! .... لماذا تكلمت..؟!

لماذا رفعت عن جبينك تاج الجلال

فان جئت ترمي قصري بكلماتك البنفسجية

أو جئت تغري عيني

بأشواق قلبك السرمدية

فاعلم أن قصري مبني من فولاذ الطهارة

وعينيّ كُحلها إباء

ورمشها سيف صقلته رمال البداوة

فإن ظننت أنك جئت تستملك في دياري

أو ظننت أنك جئت تتربع على سهو خيالي

فقد خانك الحلم والخيال

وهدم قصرك الذي صنعته من عنفوان الرجال

وحديقة أشواقي ظلت تحلق حول أزهارها

ألوان الفرح وخيوط الوصال

ظل قصري بنفس ذاك الجبروت

ونفس ذاك الجمال

فلا تفرح كثيرا

بما جئت تزرعه في بستاني من آمال

فأحلامك مكسورة الجوانح

وتحقيقها قد يكون فقط من صنع الخيال

***

طفلي العزيز

طفلي العزيز

استفق من أحلام الطفولة

فالزمن قال كلماته

ومضت على عهد الوفاء سنين طويلة

استفق من حلم الطفولة

فالعمر قد ولى أدراجه

وحبنا أصبح في مرحلة الكهولة

لا تحزن كثيرا

ولا تبكي كثيرا ...

ولا حتى قليلا

فالدمع بعد اليوم أصبح مبتذلا

والبعد أصبح في سماء المستقبل مرتسما

لا تبكي عزيزي

فقط حافظ على وجهك مشرقاً جميلاً

لا تكتب في حبي إشعارا

ولا ترسم في سماء ليلك أوهاما

ابتعد بصمت دون كلام

فقد مضى ذاك العهد

ومزق الدمع شريط الأحلام

مضى زمن الوفاء وعهوده الجميلة

وتلاشت أسطورة المحبة الجليلة

ابتعد عزيزي بصمت

فكلمات الأمس غَربت شمسها

وحروف البعد سَطع نورها

ابتعد فالهجر

حل رحاله في ضيعتنا

والألم سلب منا فرحتنا

ابتعد عزيزي قبل الغروب

فالليل قد يبدد بجوره مودتنا

والدمع في ثنايا البعد

سيسرق منا ضحكتنا

ابتعد..

فيكفي الروح ما حملناها من آلام مواجعنا

ارحل عزيزي

بضحكة ودمعة صامتة

فالقمر الذي جمعنا يوما

جاء اليوم لكي يفرقنا

***

على أوراق أزهاري الحائرة

إلى رجل لم أعرف ما لون عينيه

لم أعرف كيف أسرني صوته

وقادتني الأشواق

نحو جلال الصمت على زنديه

الى رجل لم يعرف الزمان مثيلا له

ولا أنا عرفت طريقا يوصلني إليه

أهدي كلمات سرقتها من بستان شوقٍ

أهدي عطرا من زهرة ياسمين

أهديه كلمات لم تكتب قبلا على ورق

وحروف وله أثقلها الحنين

إلى رجل أسرتني ضحكته

وأوثقت قيود فؤادي رقته

إلى رجل لم أعرف لعينيه طريقاً

لم أعرف....

أين أنشأ حديقته

أهدي ألحان البكاء التي...

غنتها غيوم الوله الساهرة

أهدي دموع الأفراح التي

تقطرت على أوراق أزهاري الحائرة

إليك يا رجلا لم أعرفه إلا في حلمي الساهر

أهديك كلمات لم تعرفها سطور ذاكرتك..

فأين تسافر؟

من عالم أشواقي لا تغادر

فأنا في خبايا قلبك حاضر

أين تسافر؟

يا رجلا لم أعرفه إلا في الدفاتر

الى أين ستأوي

وأنا خير مكان يأوي إليه المسافر

من ستسأل ..أو تحاور

وأنا خير ملجأ للقاطن والعابر

يا رجلا لم أعرفه إلا في الدفاتر

لا تبتعد...

بحبي لا تغامر

أينما ذهبت أنت محاصر

في السماء كالنجم في عتمة ليلك سأكون ظاهر

كالموج في البحر...

عندما تجرحني

سأكون ثائر

لا تبتعد

يا رجلا أقتحم من أجله المخاطر

لا تبتعد

فقد كتبت لك قصيدةً

من آهات مساء مهاجر

كتبت لك قصيدةً....

فأصبحتَ قصر كلمات

بعد أن كنتَ كلمة منسية في فهارس الدفاتر

يا رجلا لم أعرفه إلا في كتاب لبطل مغامر

أين ستسافر

أينما ذهبت ...

حبي يحيط بمعصميك كالأساور

أين ستهاجر

أعلم انك حيثما حللت

خارج إقليم كلماتي

لن تكون سوى للسبيل عابر

أينما حللت خارج حدود صفحتي

ستكون مجرد ضيف وزائر

فمن عالم أشواقي لا تغادر

فأنت هنا ملك لقصر تعطيه عيناك الأوامر

***

جسر المحبة

أنا...

أشواقي وزعتها على جسر المحبة

ونثرت زهور عشقي على وادي السلام

فكتبتُ اسمك على مقلة الشمس

وصمتٌّ أمام حسنك

والصمت أجمل ما قيل من الكلام

أنا.......

حبي وصفتُه للطيور

وكتبته قصة تشبه الأحلام

فرسَمتك بسمة على القمر

وصوّرتك نورا يضيء الدرب

وبلسماً ينسيني الأحزان

أنا....

أشواقي زرعتها في بحر من الدموع

ونذرتُ لرجوعك سيلا من الشموع

أشواقي..

عطرتُ بها أجواء حزني

وخبأتُ لمجيئك أكثر لحظات حسني

أنا...

حبي لك لا يشبه حب الروايات

أَرَقُهُ...

لا يشبه أرق الحبيب في الحكايات

أنا..

حبي..وحدها النجوم تعرفه

وليس سواها الزهور تصفه

حبي عاش في هذا الكون وحده

وقلبي وحدك أنت تسكنه

أنا .....

حبي لا تصفه الكلمات

ولا ترتسم معالمه على أعظم اللوحات

أنا حبي لا تسعه الدنيا

ولا تحتويه السموات

حبي لك كبير

لا يموت حتى لو هذا الكون مات

فجر منتظر

ما كنتُ لأكتب الشعر

لو كنت أعرف أن كلماتي جلادي

وأن الحب مظلوم بين العباد

ما كنت كتبت

لو عرفت أنك المتلف القادم

في عينيك تذوب آهاتي

وبين يديك ترتسم حياتي

ما كنت كتبت..

لو عرفت أن الصدق مأساتي

وأن الألم سيكلل حكاياتي

ما كنت لأكتب لو عرفت..

أني بكتابتي سأعدم كتاباتي

وأني بصوتي سأنثر في الهواء أصواتي

ما كنت كتبت

لو كنت أعرف أن على النساء الصمت

وأن علي أن أغرق صامتة بين آهاتي

ما كنت لأكتب

لو عرفت أن رسم حروف العذاب محرم

وأن علي أن أحبس في داخلي دمعاتي

ولكني أكتب

وقلبي يتقطع على طريق الحرية

وعيني ...

تتطلع للغد الآتي

ولكن الصوت يتلاشى

وحروف ألمي...

ضاعت بين ما مات من كلماتي

ويظل الفجر قريباً...

وعند الفجر منجاتي

ومع شعاع الأمل ستزول آهاتي

وستَفرِشُ أرضية المستقبل ..طموحاتي

ويظل الليل طويلا

وفي سراديب الليل وبين الخراب...

باتت انتصاراتي

وعلى بقايا الأحزان والدموع...

عاشت ذكرياتي

أقول في ظلمي أشعاراً

وخلف الظلام حُبسَت ابتساماتي

لو كنت أعرف أن الكلمة كفر

ما كتبت بيدي نص محاكمتي

ما كنت لأقص على ورق قصة معاناتي

ما كنت لأرسم على مقلتي سري

ما كنت رسمت

لو عرفت قبلا...

أن النار ستحرق رسوماتي

***

ليل العيون

يذكرني الليل بعينيك السوداوين

يرسم لي بريقا يرتسم دمعاً على الخدين

يوقد في قلبي نار اللهيب العابث

يعيد كتابة قصة حبٍ

لحبيب ساذجٍ

يزرع في الصدر المختنق نقطة سوداء

نقطة حبر تكتب سطورا عديدة من آهات المساء

وبسرعة عجيبة يحتدم الصراع

يكثر الخوف والقلق

يكثر الكره بين المركب والشراع

ويظل الليل يذكرني بعينيك

ويظل الموج يتخبط بين شط الأمان وعينيك

وأظل أنا...

على العهد الذي لطالما أسرني بين أغلال يديك

وتظل أنت ترسل أشعة اللهيب الحارقة

توقد بها نيران صدري المختنقة

وتكتب قصةً بآهات السماوات

تكتب قصة الحبيبة التي تغذت على الأحزان والآهات

ترسم بسمة كاذبة ...عابثة

ترسم قصة حب ضائع

تكتب على سطور الزمان الأحزان والمواجع

وأظل أنا

هائمة في بحر حنينك بقلبي الخاشع

فلا البعد أنساني سحر الليل وروعة أنواره

ولا غدرك علمني..

أن أهجر القمر والنجوم

فأنا ..

كلما لبستْ السماء ذاك الرداء الأسود الفتان

أتذكر سيمفونية الألم

التي خططتها على دفتر ذكرياتي

وأتذكر معزوفة الدموع التي...

ألفتها دموعي وآهاتي

ولا يزال الليل جميلاً في عيني

فالليل يا حبيبي...

يذكرني بعينيك السوداوين

جلس

جلسَ وفي عينيه يحترق السؤال

وعلى مقلتيه تتحطم الآمال

جلس كأنه في وحدته تشاركه النجوم

وفي عزلته تشاطره الهموم

ترقب الموقد الملتهب في أحشائه

ونادى أسرارا هربت أجوبتها من مخيلته

كان يريد أن يلتقط بعض العصافير المحلقة

وأن يجمع زهور أحلامه المتفرقة

كان يريد أن يقول شيئا

لكن الكلام ضاع بين الأسئلة

ناداه حزن قديم

وحاكته دموع الأيام

ناداه الكتاب المنهك إثر اللقاء الأخير

وقتها ...

بلله بأمطار وجعه

وحمله ألم الذكريات

نادته أحزانه التي سكنت أثاث غرفته

وأحلامه المرتسمة في سقف مخيلته

وتلك الأيام السعيدة المحفوظة في مذكرته

نادته أحزانه وأفراحه

وسألته عن سبب أوجاعه

لكن الدموع...

كانت قد أنسته الأجوبة

بين الأسى والذاكرة

على موج البحر رمى آخر أوراق حبه

وعاد وحيداً

يجرر وراءه سلسلة من الأوهام الصامتة

مجموعة من آمال

وأفكار مزيفة

رمى أوراق عذاب دام طويلا

لأنه فقد شعوره في آخر لقاء له مع السعادة

وهي.....

جلسَتْ وحيدة صريعة حبها

شكت ظلمه لنفسها

كان يمكن لها أن تكون حبيبته لوقت أطول

و يمكن له أن يكون دوماً حبيبها

كتبت على أوراقها المهجَّرة دمعة مستحية

خشيت أن يراها الكبرياء

وأن تخونها الحواس

فمسحت ألمها بسرعة

وأغلقت مصباح مواجعها

ونامت بعمق مبتذل

علّ الصباح يوقظها من هذه العتمة

في بحر عتمتها

بحثت بين الموج عن الورقة الأخيرة التي رمى بها

لكن الزمن كان قد أحرق تلك الأوراق

بكت ككل مظلوم

وتلعثمت غصتها بصمتها

ونام هو بهدوء

مستقرا بين أساه وذاكرتها

***

لأجلك

لمن ستنظم الكلمات

وترصف الحروف ...وتوضع النقاط

إن لم يكن لأجلك

لمن سيغني الطير في المساء

وتضاء النجوم في السماء

لمن ستوقد شموع الأمل والرجاء

إن لم يكن لأجلك

لمن سينحني السنديان

وتتساقط أمطار الفل والأقحوان

لمن ستفرش أرضية الفؤاد

بالياسمين والريحان...

إن لم يكن لأجلك

لأجل من غيرك ستبكي العيون

وتشرق الشمس في عالم السكون

لأجل من سأكتب كلماتي

وأفرش على عتبة الشوق آهاتي

لأجل من غيرك أدخل عالم الجنون

لا أعرف كيف أنظم الكلام

عيناك .. أجمل القصائد

أجمل البحار..

وأرقى شواطئ السلام

لا أعرف اليوم

كيف تكتب كلمات الحب على هوامش قصيدة

فيداك هما الكلمة

وهما الشعر واللحن والقصيدة

يداك هما المنفى والحرية

هما الحب والكراهية

يداك هما الأغنية المكتوبة بهوى العاشقة المنسية

واللوحة المرسومة بدماء مقتولةِ حبك الراضية

وكيف بعد ذلك ينظم الكلام

أَبَعْدَ عينيك ويديك أبجدية يسعها الكلام!

يداك أبجدية كل اللغات

وعيناك تلتقي بمقلتيها آمال الحياة

فكيف بعد هذا لا تنحني لك الجبال

ولا يسافر إلى ليل عينيك الخيال

عيناكَ... هما الحرب والسلام

هما الابتسامة المرسومة على حائط الآلام

فكيف عساي لا ألقي عليك السلام

ففيك أرى بداية الدنيا

وفيك مسك الختام

***

على أوراق الزمان

عندما نظرت إلى نفسي المرسومة على أوراق الزمان

أرهقتني تلك الأوراق الذابلة فوق طاولتي

وتلك الذكريات المبعثرة في صندوق أفكاري

أرهقتني تلك العقود التي تلتف آسرة عنقي

وذاك السوار الذي أدمى معصمي ..أرهقني

عندما رأيت قطرات دمعي المبعثرة فوق جدار الزمن

أرهقتني تلك العيون الباكية

وتلك الابتسامة الكاذبة

أرهقني صوت الناي المجروح

وسال موج الحزن من دفاتري البالية

عندما رأيت نفسي كما صورها لي من حولي

نسيت تصفيف كلماتي

واعتقدت أنني مولودة بلا اسم ولا تاريخ ولا عنوان

وصرت أخاف من عطر الحبق

ومن رائحة الفل والأقحوان

عندما أدركت أنني أسير في درب الزمن نحو المجهول

صرت أخاف من أوراقي الساكنة

ومن كلماتي المهجرة

ومن سطور تاريخي الخاوية

عندما اتهمت أنني أسير كباقي النساء..

بلا هدفٍ

أرهقتني جميع الكلمات المنثورة فوق قصيدتي

وأرهقتني خواتم التاريخ المكتوبة منذ ملايين العصور

وانقراض القرنفل الأحمر منذ ملايين السنين ...أرهقني

عندما أدركت أني كغيري من نساء عصري

أرهقتني أحلامي وطموحاتي

أرهقتني ألامي وأوجاعي

عندما أدركت أني كغيري من نساء عصري

عدت إلى صفحة الدفتر الأولى

عدت دون مقاومة أو كلام

عدت إلى صفحة الدفتر الأولى..

ونمت حيث سمح لي أن أنام

***

حكايا الجدران

تكتب الجدران حكايا من مرّ على جنباتها

ويظل يشهد على ذلك كلماتها

وتوعد شفتيك الخرافيتين بأحلى الوعود

فتخلف بالوعد..

وتمحي الكلمات ..

وتكسر الجدار الموصود

براءة صغيرة في ريعان الشباب

تلاشت وغدت في عداد السحاب

وفتور دخل الكيان والوجدان

وبسرعة ..

ذهب ما كان بيننا من وئام

تخلف بوعدك وتتخفى خلف الغياب

ترفض سماع كلماتي

وتنسى أننا كنا يوما من الأحباب

وتعود بعد سنين من الفراق

لتفتش في دفاتر الماضي

وتفتح أبواب اللوم والعتاب

تعود لتسألني إن كنت سعيدة في بعدك

أو إن كنت ما زلت أحبك

وتنسى أن العيون الباكية..

مزقت جفوني

والحب الكبير ضاع بين تعقلك.. وجنوني

تنسى أن المحبة تبددها سنين العذاب

لا تسألني إن كنت ما زلت أحبك

فتلك الأساطيل قد تحطمت

ومفاتيح حياتنا تكسرت

ونهاية حبنا منذ عهد كبير قد كتبت

لا تسألني ..

فقط افتح خزانة أوراقي

وقلب نظراتك بين حروفي وكلماتي

فتاريخي مشبع بالحكايات

وقصص أحزاني تختلف عن كل الروايات

افتح مستودع أفكاري

وتجول في بحر أحزاني

فمستودعي مليء بالأسرار

وبحور شعري مكتوبة بدم الأزهار

وحديقة شوقي أصبحت بلا أسوار

لا تسأل..

فقط اقرأ قصة حبي

واكتشف أسرار قلبي

فهذه الجدران صنعها ألمي

فلا زالت الجدران تكتب حكايا من مر على جنباتها

وسيظل يشهد على ذلك كلماتها

***

الوداع الاخير

في غفلة من عيون الحنين

جمع أغراضه المتواضعة

وضع في حقيبته

ذكريات ماضيه التالفة

بعضا من دموع الشوق

وبعضا من حرقة الأمل المحترق

جمع أغراضه بهدوء

فلملم آخر أوراق مودته

وحضن بحزن شقاوة طفولته

وانسحب ببطئ من ذكرياته

في غفلة من عيون الحنين

غادر صامتا بلا كلام ولا دموع

فلا كلاما يعادل حرقته

ولا دموع تترجم مواجعه

انسحب ببطئ

وبهدوء انطفأ آخر نور في شمعته

أين تذهب..

سألته الأسرّة الفارغة منذ لقائه الأخير

سألته الستائر المسدلة على فرحة طفله الصغير

فتلعثمت الغصة في عيون دربه

وانسحب ببطئ ..

وأقفل وراءه بابا من الأحزان والجزع المرير

ذهب .....

فسألت الشرفات عن موطنه

واشتاقت عصافير الدار لوصل مودته

ذهب...

فانكسر الكبرياء في منزله

وهوت أسطورة الخلود

مع آخر ورقة سقطت من عمره

ذهب.. ولم يعد

وجلس طفله..

حاملا أساه وحرقته

***

فوق الوجود

أنتِ فوق النجوم تترفعين

تسكنين عيني

وترقصين في محراب يدي

أنتِ تتمايلين على الموج في أعماقي

تكتبين قصيدة أوجاعي

وترسمين مشروعك الذي لطالما كنت تتمنين

تكتبينَ على أوراق الفجر

قصة مأساتي

وتخطين في عتمة الأفق

خريطة أزماتي

تحكينَ للشمس عن ظلمي

وتسألي الغيمة أن تثأر مني

وفي داخلي أعلنتِ العصيان

فغادرتِ بلادي بصمت مطبق

وهجرت تربة أنفاسي دون سابق إنذار

تركتني وحيدا

مسلوب الدمع والحرف

مجردا من الافكار

وحيدا بقيت

معدوم الحواس

ذهبتِ حيث لا يمكن لي أن أكون حبيبك

أو رسم على هامش ذاكرتك

وهناك في ذاك الفراغ

أخذت تتمايلين على عرش حبي

تستبيحين تعذيبي و ظلمي

وهناك ظللت ترقصين

خارج الواقع وابعد من الحدود

وظل الكلام مشلول الخطى

مسلوب الارادة مثقل القيود

هكذا بأسىً أخرس تركتني

وظللت ترقصين وتتمايلين

هناك...

فوق السحاب

فوق النجوم

وفوق الوجود

***

دفاتري

منذ فترة طويلة يا سيدتي العزيزة

وأنا أنتظر من يلهمني الشعر والكلمات

فدفاتري محتاجة لألحان تزينها

ولوحات عشق تجملّها

دفاتري...

محتاجة لأمور لا اعتيادية

تقلبها رأسا على عقب ... وتغيرها

دفاتري يا سيدتي محتاجة لحب يغذيها

حب يعلمها القراءة والكتابة

حب بعد سنين من العطش جاء ليرويها

دفاتري محتاجة إليك منذ زمن بعيد

محتاجة لحبكِ ليصونها و يطهرها

و لهمس عينيك ليحميها ويحصنها

دفاتري مشتاقة   للبسمة التي هَجرَتها

وكلام الغزل الذي تبخر من صفحاتها

دفاتري مشتاقة للأمل

ولأن تعود إليها ضحكتها

دفاتري لطالما انتظرت موعد قدومك

وكلماتي لطالما انتظرت ساعة وصولك

فهي تدرك أنك جلبت معك الأماني الضائعة

والمعاني المفقودة المهاجرة

دفاتري أدركت منذ عهد بعيد أنك أزهاري

وانك نجمة ليلي... وقنديل نهاري

دفاتري لطالما أدركت أني أنتظرك

لأن حقيبة سفركِ...

هي مخيلتي وأفكاري

***

أحبك

أحبك...

أقولها كلما تشرق الشمس

وتعطي العنان للعصافير لكي تغني

أقولها عندما تغرورق عينيّ بالدموع

وعندما يسود الفرح أرضي ووطني

أحبك

فكأن قلبك صار من الروح

وكأن فؤادك..بات جزءاً مني

أحبك فمالي عن رؤيتك غنى

ولا عيونك تريد البعد عني

أحبك..

مالي بعد من الدنيا

من بعد عينيك..

هجرتني الدموع وخاصمني حزني

ما لي بعد من الدنيا..

أمام عينيك تشل أجنحة التمني

أحبك..

هكذا قالوا فلم أعترض..

فأنا في هواك يحلو لي التغني

أحبك ويقولون أعشقك ..

فليقولوا

طالما العشق قد سكن عينيك وعيني

أحبك وهذه الكلمات ليست لك..

وليست مني..

فحبك أكبر من أن يقال

والكلمات في وصفه ستخذلني

أحبك ...

هكذا قالوا...

فلم أعترض

لان حبك...

أقصى ما يتمناه المتمني

***

الفهرس